

بركة الشهداء الجدد*

د. الياس لياميس

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

عَدَدنا بيزنطية على تكريم الكهنة والرهبان الذين كانوا قديسين. ومع ذلك، معظم الشهداء الجدد كانوا من العلمانيين، وكثير منهم كانوا فقراء، وقليل منهم أغنياء، وبعضهم أمي، وآخرون متعلمون جيداً. تعيدنا هذه الظاهرة إلى السنوات الأولى للكنيسة، عندما جاء الشهداء من جميع الشرائح الاجتماعية وكانوا عمومًا من العلمانيين.

سمة أخرى للشهداء الجدد أنهم كانوا أناساً عاديين مثلنا. كانوا يعملون في أعمال يومية ويكسبون عيشهم من الحرف العادية، والتي غالباً ما كانت تستخدم كأسماء مميزة. وهكذا لدينا يوحنا القبطان، وجاورجيوس الخياط، وميخائيل البستاني، ونيكولوس البقال، وترياندا فيلوس البحار. لدينا أيضاً تجار وصاغة ذهب ورعاة ورسامون وصيادون ونحويون ومشرفون على ممتلكات تركية. وكذلك الشهداء الجدد اللواتي اختلفت قدراتهن ومهنهن.

فيما يتعلق بالعمى، كانت الغالبية العظمى من الشهداء الجدد من الشباب، وبعضهم تتراوح أعمارهم بين العاشرة والخامسة عشر. بعضهم كانوا متزوجين ويعيشون مع زوجاتهم وأطفالهم، بينما لم يتمكن آخرون بعد من تكوين أسرة. إحدى الحالات المأساوية هي حالة جاورجيوس، من مغنيسيا، الذي كان مخطوباً واستشهد قبل أيام قليلة من زفافه.

بالطبع، لم يكن هناك نقص في الرهبان والكهنة والأساقفة والبطاركة الذين استشهدوا هم أيضاً. صور راسمو الأيقونات الشهداء الجدد بملابسهم اليومية: التنانير، المؤخرات، البنطلونات، السراويل، أغطية الرأس الرديئة والأحذية التقليدية. أيقونات الشهداء الجدد هي مصادر مهمة للبحث في تفاصيل حياتهم. لم يكن الشهداء الجدد نساكاً ولم ينفصلوا عن العالم. لقد جعلتهم وظائفهم على اتصال مع الجميع، اليونانيين والأتراك. حتى أن بعضهم عمل في القصر والبعض الآخر كان يشارك من حين لآخر في الترفيه مع الأتراك. لقد أشاد مؤلفو سيرهم بجمال مظهرهم الخارجي، والذي كان غالباً سبب استشهادهم. ودائماً ما تكون هذه التوصيفات مصحوبة بإشارات إلى فضائلهم الروحية، ويشار أيضاً إلى "أسلوب حياتهم المنظم"، و"تربية الرب وتأديبه" و"كل تواضع واعتدال". لم تكن حياتهم اليومية مختلفة عن حياة المسيحيين العاديين، ولكن يُذكر دائماً حبهم الكبير للكنيسة، وتفانيهم في حياتها الليتورجية ومحبتهم وبساطتهم وتواضعهم.

تؤكد هذه المعلومات على الأهمية الكبيرة التي يوليها رهبان الشهداء الجدد للكنيسة. إنهم يلفتون الانتباه إلى العنصر العلماني في جسد الكنيسة؛ لقد قاموا بسد الفجوة المفترضة بين القداسة والحياة اليومية؛ علموا وما زالوا يعلمون المسيحيين في جميع العصور أن التجربة يمكن أن تنشأ في أي لحظة؛ وقد قدموا الشهادة ليست

على أنها امتياز لعدد قليل من الشخصيات البارزة والاستثنائية، بل كطريق نحن مدعوون جميعاً للسير فيه، كل في طريقه الخاصة.

* في الكنيسة اليونانية، المقصود بالشهداء الجدد هم مجموعة الذين استشهدوا منذ بداية الاحتلال العثماني من دون أن ينكروا الإيمان المسيحي. معروف أن كثيرين في فترات الاضطهاد تخلوا عن الإيمان طوعاً أو تحت الضغط أو سعياً إلى المصالح والنفوذ. هناك مجموعة غير قليلة من الذين دُوت سيرهم وشهاداتهم، ومنهم من حُفظت رفاتهم التي في غالب الأوقات كان العثمانيون يرقونها أو يرمونها في البحر كي لا تتحوّل مادة للإكرام واجتذاب المؤمنين. هذه المجموعة هي بداية مجموعة الشهداء الجدد التي يُضاف إليها مجموعة من الشهداء على يد الاحتلال النازي خلال الحرب العالمية الثانية. الشهداء الجدد ليسوا حصرياً في اليونان، فالكنيسة الصربية عندها مجموعة من هؤلاء فيها كل الذين استشهدوا عن الإيمان منذ الاحتلال العثماني وصولاً إلى الذين عذبهم الأوزتاشي (ميليشيات الكروات المدعومة من روما والنازيين). في الكنيسة الرومانية أيضاً مجموعات من الشهداء على يد العثمانيين وصولاً إلى الحكم الشيوعي المضطهد. أما في أنطاكية، فيأتي عدم الاهتمام بنسب سير هؤلاء الشهداء وإبرازهم من ضمن برودة أوسع نحو القديسين، هناك ضرورة لدرس أسبابها ومداهها بشكل علمي. فالأكيد أن الأرثوذكسية في انطاكية دفعت شهداء تمسكوا بإيمانهم في وجه كافة الاضطهادات منذ الاحتلال الإسلامي بكافة دوله، وخاصةً المماليك، مروراً بالصليبيين الذين لم يقصروا بالاضطهاد، وصولاً إلى العثمانيين دون أن يُغفل الذين دافعوا عن الإيمان في وجه الإرساليات الغربية بالحد الأدنى من المقومات، وانتهاءً بالذين استشهدوا في حروب العبث في هذه البلاد. الأكيد في هذه الحالة، أن المؤمنين الأحياء هم المحتاجون إلى التعرف على هؤلاء الشهداء ليثبتوا ويتمسكوا، وليس العكس. فالشهداء يعرفهم الرب وهم قائمون عنده، يتشفعون بالذين شهدوا لهم سواء اهتم هؤلاء بالشهداء أو لا [المترجم]

Source: Dr. Ilias Liamis. The Blessing of the New Martyrs. Pemptousia. Religion / Theology. 11 May 2023.
<https://pemptousia.com/2023/05/the-blessing-of-the-new-martyrs/>